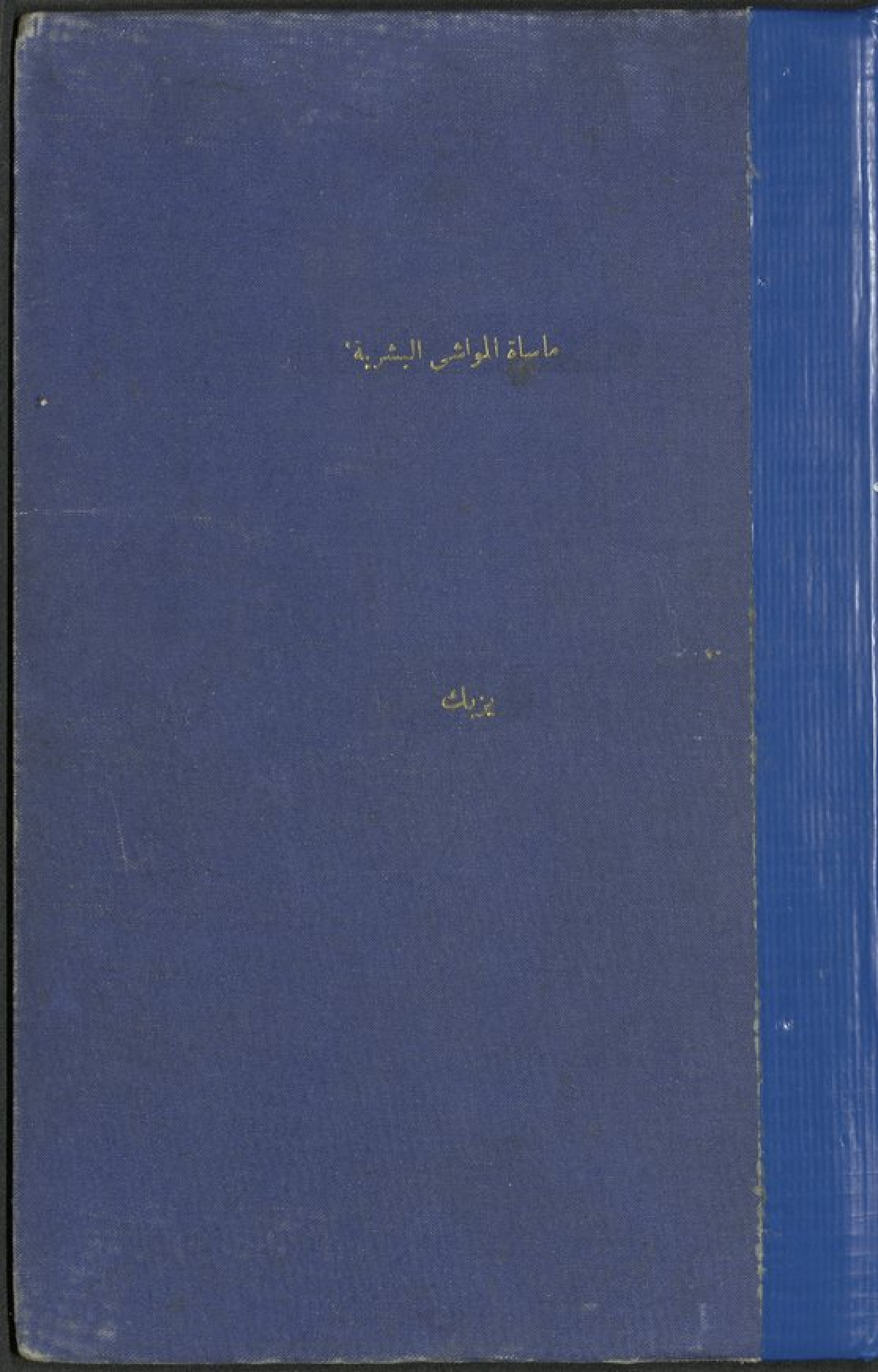
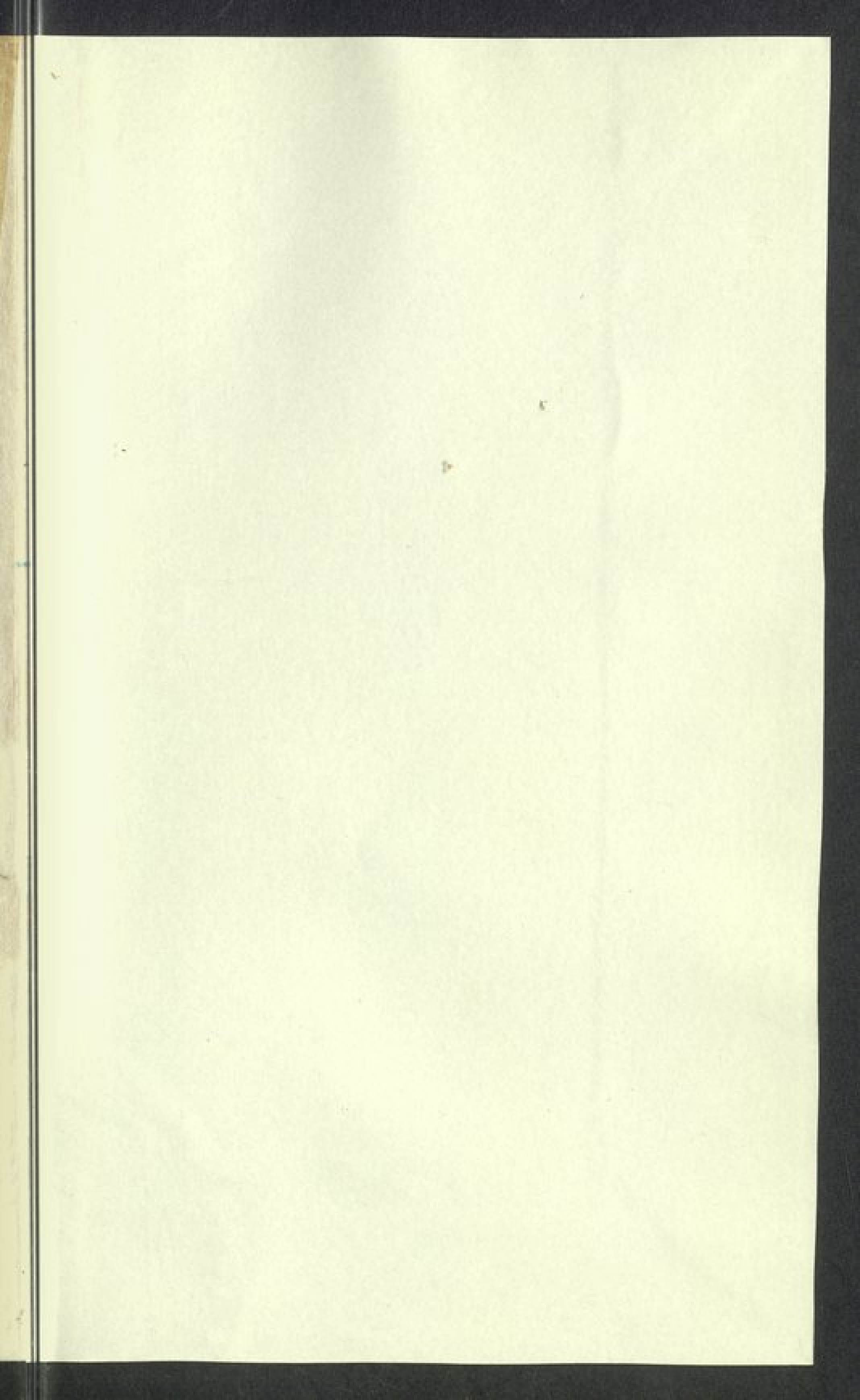


مأساة المواشي البشرية
يزبك



الى الرأي العام

مأساة المواشي البشرية

في طريقها الى بلاد الله

بقلم

يوسف يزبك

صارت المهاجرة جزءاً من حياتنا في لبنان، وستصير في سورية ايضاً. فهل تسن الحكومة نظاماً لتحمي نسل الخيل وترصد الاعتمادات لتحسينه، ولا تسن نظاماً يحمي حياة المهاجرين وهم من مكلفيها ؟؟

مطبعة المصباح * بيروت

المواشي البشرية

لانبالغ في التجائنا الى كلمة (المواشي البشرية) للتعبير عن تعريف المهاجرين اللبنانيين والسوريين

بل نحن نظن ان العالم ، وهو اليوم في القرن العشرين ، في عهد النور ، والرقي ، والتمدن ، في عهد توفرت فيه المبادي. (الانسانية) فوزعت على الضعاف والمستضعفين يميناً وشمالا ، بلا كيل ولا عد ، ان هذا العالم اليوم يأسف من معاملة المواشي ، الابقار والاغنام والخنازير ، كما عومل اللبنانيون والسوريون في مرسيليا ، في طريقهم اليها ومنها ، وفي الباخرة « شامبوليون » ، وفي غيرها من البواخر الافرنسية ، وكما سنصفه في هذه الصفحات نقلا عن هؤلاء الاخوان انفسهم .

وويح البشرية تدعي المدنية والشرف ، بعد هذه المأساة !

« رست في مياه بيروت الباخرة الافرنسية (...)
وعليها عدد كبير من المهاجرين السوريين واللبنانيين
الذين ارجعوا من مرسيليا ومنعوا من متابعة سفرهم
الى اميركا بسبب مرض في عيونهم »

= « الاحرار » وسائر الصحف المحلية =

اذا كتب الدهر لشعب مستضعف فقير ان يشقى العمر فالى من يشكو من مصيبته ؟

تساءلت هذا السؤال وانا ذاهب الى المرفأ ، لاطوف بشركات البواخر ودوائر المهاجرة وعيادات الاطباء ودائرة الامن العام والشرطة ودور القناصل ، وأسأل هؤلاء الكرام ، هؤلاء الناس ، عما حدا ببعض « الرجال ! » في مرسيليا الى ضرب المهاجرين ، والى اهانتهم وتحقيرهم وسوقهم كالاغنام في قلب مرسيليا ، احدى مدن فرنسا ، الحرة ، الراقية ، المتمدنة ، ذات التاريخ المجيد في المآثر الانسانية

أجل ، لقد ضرب المهاجرون السوريون واللبنانيون في

مرسيليا . ضربوهم بالسياط . صفعوا النساء . رفسوا الاطفال والايتام . وأهانوهم جميعاً !

لماذا ؟ ؟

اسمع الشاب عبد القادر عنقه من يبرود (الشام) يقص علينا المأساة :

— كان عندي بقرة فبعتها ، وعندي جل فيه تينة وسبع توتات ، فرهنته . قضيت بضعة اسابيع اتردد من دائرة الى دائرة حتى اخذت جواز سفر رسمياً واشرت عليه من القنصل . وحصلت على شهادات حسن حال من المختار ودائرة الشرطة . فحصني طبيب القرية وأعطاني شهادة بحسن الصحة . فحصني طبيب قنصل الاورغواي في بيروت فحصاً تاماً : عيني وصدري وجسمي وجميع اعضائي ثم اعطاني شهادة كاملة بحسن صحتي وباني قمت بالواجبات المفروضة على المهاجرين . فتمكنت بواسطة هذه الشهادة من التأشير على جواز سفري من قنصل الاورغواي . قضيت اياماً بين ايدي السماسرة والشركات حتى قطعت اخيراً ناولوني وركبت الباخرة « شمبوليون » الى مرسيليا فاستقبلنا على المرفأ رجل يدعى الياس السقال ، احد مستخدمي « لوكندة الشرق الكبرى » وهي اللوكندة التي ترسل المهاجرين اليها شركة المساجيري ماريتيم الافرنسية وشركة

فابرلين الافرنسية

وصلنا الى النزل زرافات زرافات فاستلم مديره جوازات سفرنا وحشرنا في مراحاته كالبقر . كنا فوق بعضنا مثل السردين . مضت الايام الاربعة الاولى فطلب منا مدير اللو كندة ان ندفع ثمن الاكل واجرة النوم لان الشركة لاتطعمنا على حسابها اكثر من اربعة ايام . وبعد ان قضينا اسبوعاً في انتظار الباخرة طلبنا من ادارة الشركة ان نتابع سفرنا فرفضت « الكبانية » بحجة ان في عيوننا مرضاً فبرزنا الشهادات الطبية التي اخذناها من الشام وبيروت ولكن المدير رماها على الارض باحتقار

ذهبنا الى طبيب افرنسي ودفعنا له اجرة العيادة ففحصنا واعطانا شهادة بان عيوننا وصحتنا سليمة ؛ فلم يكن من المدير الا انه رمى الشهادة بازدراء

ذهبنا الى طبيب شركة «الترانزاتلنتيك» وهو انكليزي ففحصنا فحصاً كاملا واعطانا شهادة باننا نصلح للسفر . ولكن المدير رفض تسفيرنا بحجة ان الاورغواي قد اقفلت ابوابها في وجه المهاجرين ولا تقبل سورياً او لبنانياً

استغربنا هذا العناد من مدير لوكندة الشركة والححنا عليه بمتابعة سفرنا او ارجاع جوازاتنا لنسافر على باخرة اجنبية

فما كان منه الا انه ضربنا واخذ يشتم ديننا وعرضنا وشرفنا وكان يقول لنا « سال سريان . سال مكرو »

ولم ينفرد المدير بهذه المعاملة بل كان جميع المستخدمين في اللوكندة يصبحوننا بشتائم سفيهة (أتحاشى عن ترديدها) ولما تأثر الركاب من هذه المعاملة الوحشية شكوا امرهم الى الحكومة الافرنسية في مرسيليا

نحن لانفهم اللغة ولسنا ندري ماقاله مدير لوكندة الشركة للبوليس ولكننا فوجئنا يوماً بعدد من الشرطة احاطوا بالنزل ومنعونا من الخروج

قضينا اياماً طوالا نذوق عذاب الموت، ولما رجعت الباخرة «شامبوليون» الى مرسيليا، جرونا اليها بالقوة وكان البوليس يحشر كل خمسة وستة ركاب في سيارة ويشحنهم الى البابور

رفضنا الرجوع . اموالنا وحياتنا وعذابنا بيد الكبانية. قلنا للبوليس : هون حكم فرنسا وبلادنا حكم فرنسا . ونحن لانرجع الى بيروت بعد هذا التعتير . فما كان من البوليس الا انه اخذ يضربنا بالكرابيج ويجرجرنا بالقوة للبابور ... »

وصل محدثي الى هذا الكلام وسكت

ما له ؟

وكان حولنا بضعة مهاجرين، رجالا ونساء واطفالا،

فانفجرت الصدور وعلا الشهيق!

دموع الاطفال والارامل، تنحدر بسكوت، بألم، بغصة!

وانا ايضاً بكيت!...

يا ابناء قومي، يا احبابي، ما حملكم على الرحيل، وعلى مقاساة هذه الاهانات!

وسمعت صوتاً خافتاً يجيب

— وشو في هون بهالبلاد!..

***

ماري قرينة جرجس شحود من عش الشوحة (خربة الحصن) معها اطفال ثلاثة، عمر كبيرهم خمس سنوات. بيدها جواز سفر رسمي من حاكم منطقة العلويين في اللاذقية رقمه ٢٧٠٠ وتاريخه ٢٨ ك ١ الماضي. فحصها واطفالها الدكتور يوسف عبيد في طرابلس واعطاهم شهادة بحسن الصحة بتاريخ ٢ كانون الثاني فسافروا الى مرسيليا وعوملوا المعاملة التي ذكرها عبد القادر عنقه فذهبت المرأة الى الدكتور الافرنسي مريتان Dr Meritan المخرج من جامعة مونبليه ففحصها فحصاً كاملا واعطاها شهادة لها ولاطفالها بتاريخ ٢٢ ك ٢ بانهم سالمون من كل مرض معدٍ وبانهم يستطيعون السفر. ولكن مدير النزل رفض الاعتراف بشهادة الطبيب الافرنسي واصر

على منعها من السفر ، وعلى الاحتفاظ بجوازها الى ان رجعت « الشامبوليون » الى مرسيليا فاعادها عليها .

***

فاطمة عبد الله ، قرينة مصطفى زرزور من بتليف « صور » معها جواز سفر رسمي رقمه ٨٠٨٢ بتاريخ ٢٧ ك ١ الماضي من دائرة بيروت . فحصها الدكتور ليزمي الطبيب الرسمي لقنصلية الاورغواي فحصاً كاملا واعطاها شهادة تاريخها ٢٩ ك ١ بانها سليمة من كل الامراض التي تمنع من السفر . وصلت الى مرسيليا وعاملها مستخدمو « لوكندة الشرق الكبرى » كما عاملوا رفاقها

وارسل لها زوجها من الارجنتين حوالة تلغرافية بعشرين ليرة انكليزية فودعتها عند كاتب النزل (وقد يكون سوريا لان اسمه حنا) ولما رأت ان الشركة عزمت على ارجاعها الى بيروت طلبت دراهمها من المستخدم الامين فما كان من مدير النزل الا انه رفسها وضربها وكسر صندوقها ولم يعطها فلساً

***

امامي وانا اكتب هذه السطور ، قائمة باسماء ٩١ مهاجراً رجعوا من مرسيليا منذ ايام على الباخرة الافرنسية « تيوفيل غوتيه » وقائمة ثانية باسماء ٥٩ مهاجراً رجعوا ايضاً مثلهم امس

الاول على الباخرة « شامبوليون » وجميعهم يشكون من سوء معاملة ممثل الشركة ومدير النزل المعروف باسم « لوكندة بسول » ومن رجال الشرطة الذين ضربوهم في مرسيليا

مدير النزل « رجل » يوناني ، احول العينين ، شرس الاخلاق وبذيء اللسان

وممثل شركة المساجيري ماريتيم «رجل» افرنسي ، وهو ند لزميله اليوناني

وفي ادارة « الاحرار » نسخة عن العريضة التي كتبها المهاجرون عن ضرب الشرطة اياهم بالسياط ولدينا ارقام هؤلاء (الناس !) نقدمها للمسيو بونسو ممثل فرنسا في هذه البلاد ، ساعة يطلبها

***

نختم الان اقوال بعض المهاجرين العائدين بالمأساة الاتية :

وجيهة عيسى قندلفت ، زوجة طانيوس حسواني من حمص ، اخذت جواز سفر من مندوب ممثل فرنسا بتاريخ ١٢ ك ٢ رقم ٢٠ الى الارجنتين ، عند زوجها الذي بعث اليها باجازة رسمية من دائرة المهاجرة في بونس ايرس (رقمها ٨٠٧١٠ بتاريخ ٤ حزيران الماضي) تجيز لها الدخول مع طفليها الى تلك البلاد ومعها شهادة صحية من الدكتور عارف اسكندر

وشهادة ثانية من الدكتور ليـان حلبي طبيب حكومة لواء حمص بانها سليمة وطفليها من الامراض المعدية

وصلت المسكينة الى مرسيليا فاكرهت على الرجوع مع الصغيرين بحجة ان ابواب الارجنتين مقفلة في وجه المهاجرين. أبرزت اجازة دائرة المهاجرة في بونس ايرس فشتمها مدير النزل واقفل الدنيا في وجهها ووجه طفليها المطلوبين مثلها عند ابيهما.

قصت وجيهة مأساتها علي واخذت تنتحب قائلة انهـا لاتريد السفر بعد الان ولكنها تطلب الدراهم التي اخذتها منها الشركة لتتمكن من اعالة طفليها. رضيت بان تعيش في سوريا بالقلة والتعتير ولكنها تطلب مالها لتعيش مستورة مع الصغيرين

— قصتك مؤلمة يا وجيهة ، فلماذا لم تشكي امرك الى الحكومة الافرنسية ؟

= لمين بدنا نشتكي ونتعتر ؟ مين يسمع لنا ؟ نحن فقرا . نحن مساكين ! الله عليهم !

— لاتيأسي يا وجيهة ، ففي البلاد حكومات وطنية ، وسلطة افرنسية ، وفي باريس حكومة راقية متمدنة . وفي جنيف عصبة للامم ، وفي العالم رأي عام ، ودول تفرق المبادي، الانسانية على الشعوب.. فلاتيأسي فان حقك وحق اطفالك

لايضيع .

فمسحت المسكينة دموعها وصرخت صرخة هزت اعماق قلبي :

— شو جمعية امم . شو شكوى . لمين ؟ بدنا نتعتر ونعيش مستورين .

...

... وكان الليل قد اعتكر ، فسريت على رصيف المرفأ راجعاً الى منزلي ، تضيء انوار « الشامبوليون » امامي السبل السكون منتشر رهيباً . فرددت كلام وجيهة فندلفت قائلاً :

— اجل ، لمن الشكوى يا عصبة الامم ؟



- ٢ -

... وتابعت السرى على رصيف المرفأ ، مطرقاً حزيناً ، استعرض تلك المواكب ، مواكب المواشي البشرية ، وانا رهين عاملين : اتساءل عما اذا كان باستطاعة من عرف فرنسا (الاوروبية) ، وعاش في مدنها الكبرى اشهراً وسنوات ؛ ان يصدق ان رجال الشرطة فيها يضربون الناس بالسياط ! ...

ولكن هذه الدموع الغزيرة ، المنحدرة بسكوت ، بغصة ، بمرارة ، بحرقة ، هذه الدموع التي رأيتها تنسكب من عيون المهاجرين المضروبين ، هل اتمكن من الارتياب بصدقها ؟

واذا تباكى الرجال فهل تكذب الارامل والاطفال والايتام في البكاء ؟

ليس بي من قوة لاشك في ذلك . لقد جاء المهاجرون المضروبون الى ادارة « الاحرار » يقصون علينا مأساتهم . وقالوا انهم كشفوا امام الاطباء ظهورهم واكتافهم فشاهد هؤلاء علامات ضرب السياط بارزة وباقية لتشهد شهادة الحق الى الله

تابعت السرى على رصيف المرفأ وانا رهين هذه الافكار ،

فسمعت صوتاً يناديني ،فوقفت ورأيت المهاجر يوسف بن فالح العودة من سمج (حوران) مسرعاً نحوي :

= مالك يا يوسف ؟

= يا بك (١) اجا عاللو كندة ركاب جدد . مضروبين متلنا . الله يخليك شرف شوفهم . بدهم يفرجوك شو عملت فيهم الكبانية

= حسبي يا يوسف . والذي سمعته وشاهدته يكفي!

والح المهاجر في توسله ، فرجعت معه وقطعنا الطريق صامتين ، لا يجرؤ احدنا على ان يعكر على الليل رهبته

لقد ظننت ساعتئذ انني سائر بين القبور

وصلنا الى النزل فرأيتهم في حالة تفتت الاكباد :

مسعود عمر خلوف من عسيل الورد (الشام) ، حسين نايف ابو طاره من فليطه (الشام) ، عبد اللطيف محمد رشيد من النبك ، عبده فتح الله ومحمود سليم الغندور ومحمود عبد العزيز جميعهم من يبرود ، يحملون جوازات سفر رسمية من دمشق ، من مندوب المفوض السامي للجمهورية الافرنسية.

لقد انجزوا جميع الفروض الواجبة عليهم : تأشير القنصل على الجواز ، شهادات حسن الحال ، ثلاث شهادات صحية من طبيب البلدية وطبيب الحكومة وطبيب قنصل الاورغواي

في بيروت . ولكن هذه المعاملات الرسمية لم تشفع بهم لدى مدير «لو كندة بسول» اي نزل شركة المساجري ماريتيم وشركة فابرلين الفرنسويتين في مرسيليا

اجمعوا جميعهم على ان المدير «الاحول» اهانهم وضربهم واستعان بالشرطة ، فكتفهم هؤلاء . وقادوهم قسراً الى الباخرة غير مبالين باحتجاجاتهم ودموع نسائهم واطفالهم

وقال لي يوسف العوده : « المصيبـة انهم (اي في نزل الشركة في مرسيليا) اخذوا منا بسابورتاتنا . كنا قاطعين رأساً لمونتفيديو وما خلانا مدير الكبانية نكمل سفرتنا بحجة المرض . فرجيناهم الشهادات وجبنا لهم شهادات جديدة من اطباء الشركات الاجنبية ومن دكاترة فرنسويه في مرسيليا . وما خلونا نسافر مع غير كبانية »

***

انقل حديث يوسف العوده بحروفه ، وقد وافق على صدقه جميع رفاقه واكدوا لي ان من كان معه من المهاجرين دراهم ولم يطلب الناولون الذي دفعه في بيروت ، قد استطاع متابعة سفره . اما المهاجرون الذين قطعوا ناولونهم رأساً حتى اميركا ولم يبق معهم ما يكفيهم لشراء ورقة سفر جديدة من مرسيليا فقد ارجعوا الى بيروت

وقال لي يوسف العوده — ووافق الحاضرون على صحة قوله — ان جميع المهاجرين الذين اعيدوا من مرسيليا هم الذين نزلوا في « لو كندة الشرق الكبرى » اي النزل الذي يخص شركة « ترانسبور ماريتيم » — الشركة التي تعمل لحسابها في ما يتعلق بالمهاجرة في بيروت « المساجري ماريتيم » و « فابرلين »

وقال لي هؤلاء المهاجرون ان بعض رفاقهم الذين سافروا من قراهم مثلهم وسافروا معهم ، ولكنهم لم يقطعوا اوراقهم من هذه الشركة ، ولم ينزلوا في نزل بسول ، قد تابعوا سفرهم بامان وسلامة

— الم تقولوا هذا لمدير النزل ساعة ادعى انكم لاتستطيعون متابعة السفر بحجة ان في عيونكم مرضاً ؟

— قلنا له كل شيء ، مارضي يسمع . قال لنا ان اميركا مسكرة وان الاورغواي رفضت كل الركاب ومستحيل تقبلنا . ولما طلبنا منه يرجع لنا الباسبور والناولون حتى نسافر مع غير كبانيات قبلت ان توصلنا على مسو . وليتها لنص دين اميركا ، صار يضربنا ويسب عرضنا وصليبنا ونبينا

= كفى يا اخوان ! ...

« عند قنصل الاورغواي »

قرعت الباب .

– عفواً يا سيدي القنصل عن هذه الزيارة في مثل هذه الساعة المتأخرة . انا آتٍ اليك لقضية انسانية تهم سمعة جمهورية الاورغواي كما تهم بلادي.

واعدت على القنصل ما سمعته من المهاجرين واستغربت ان يؤشر لهم على جوازات السفر الى الاورغواي في حين ان حكومته ترفض دخولهم الى اراضيها

فانتفض الرجل وصرخ بنبرة قوية :

– ماذا يقولون؟ هذا كذب . ان جميع ابواب الاورغواي مفتوحة امام جميع المهاجرين اللبنانيين والسوريين على السواء بشرط ان يتمموا شروط المهاجرة

– مدير لو كندة الشرق في مرسيليا قال هذا القول مراراً للمهاجرين يا حضرة القنصل

– اعيد لك تصريحي بتاكيد وصراحة . حكومتي لم تفكر بمثل هذا العمل ، بل انها ترحب بجميع المهاجرين ، ولا سيما بابناء بلادكم . لقد هاجر الى بلادنا ثمانية الاف سوري ولبناني فلم يرجع منهم الا تسعة اشخاص ، لان عيونهم اصيبت

بمرض التراخوما بعد ان مضى ثلاثة اشهر على تأشير جوازاتهم من عندي .

ثم تناول حضرة القنصل برقية من درج مكتبه وفتحها امامي قائلا : تناولت امس صباحاً هذا الامر من وزارة الخارجية في مونتيفيديو . اقرأ :

« بيروت = قنصل الاورغواي

« يستطيع المهاجرون السوريون واللبنانيون ان يدخلوا الاورغواي . لاترفضوا التأشير على جوازات من يتممون شروط المهاجرة ، امنعوا تأشير المرور « الترانزيت » فقط

الامضاء : وزير الخارجية»

فركت عيني فركاً قوياً ثم فتحت اذني بانتباه فلم اتمكن من تصديق ادعاء شركة البواخر في مرسيليا

البرقية صريحة ،وقد ارسلت منذ ثلاثة ايام من وزارة الخارجية في مونتيفيدبو ، وصوت القنصل الواقف بلحمه ودمه امامي يرن في اذني مؤكداً ان ابواب الاورغواي مفتوحة لابناء قومي !

نعم مفتوحة ، وكنت اود ان تقفل امم الارض ابوابها في وجوه المهاجرين لتستبقي البلاد ابناءها يعملون فيها ! ....

ولكن هل ينفع هذا التمني ؟ وهل اجيزه لنفسي في بلاد

ارهقها الاستعمار ، واستنزفت دمها شركات الاحتكار؟

فنظرت الى محدثي وقلت :

- ولكننا امام حقيقة مؤلمة يا سيدي القنصل ؛ فما رأي حكومتكم في هذه الشائعات الكاذبة ؛ وما رأي حضرتكم في قضية هؤلاء البائسين ؟

- .....

لقد اكد لي حضرة القنصل انه سيلاحق الامر باهتمام. وارجو ان يكون في حكومة الجمهورية اللبنانية من تهمه مصالح الفقراء فيسأله رأيه في فضائح المهاجرة .

وليت لجميع القناصل في بيروت طبيباً خاصاً يفحص المهاجرين كما هي الحال في قنصلية الاورغواي . وليت جميع القناصل يسهلون مثل قنصل الاورغواي سبل المهاجرين .

اجابني حضرة القنصل على سؤال القيته عليه: بان نسبة المهاجرين اللبنانيين الى السوريين هي كنسبة ثمانية من مئة ؛ وبان اكثر المهاجرين الى الاورغواي هم من المنطقة العلوية ثم من سوريا . فهل تسمع حكومة « الدولة » العلوية وحكومة الشام ؟ وهل تهتم الاولى بالمواشي البشرية اهتمامها بتعبيد طريق اللاذقية ، وباكراه الفلاحين على فتح الطرق العمومية ؟ وهل يهتم تاج الدين الحسني بالمواشي البشرية اهتمامه بانتقاء ملابس

الحفلات الراقصة، وبدر اموال الحكومة، عرق جبين المكلف السوري الفقير، على الاذناب والاتباع ؟

ومن الغريب ان لايكون في هذه البلاد «المشمولة بالانتداب الافرنسي» قانون يحمي المهاجرين ويضمن لهم حقوقهم تجاه شركات البواخر، وان يعاملوا هذه المعاملة التي وصفنا بعضاً من جزئها، فيضربوا بالسياط، ويهانوا، ويرفسوا، ويصفعوا، ويسمعوا تحقير بلادهم، وشرفهم، ودينهم، وتبتز اموالهم، ويجوعوا. يلاقي المهاجرون كل هذه الهمجية ولا يستحي بعض الصحف من الدعوة لاقامة «تمثال للمهاجرين» !

ولا يجرؤ كاتب على فضح هذه الوحشية والاحتجاج عليها !...

ودعت السنيور ارنستو كريهوداس، قنصل حكومة الاورغواي في بيروت، شاكراً لحضرته صدق عاطفته النبيلة نحو سورية ولبنان ورجوت منه ان يتكرم فيطلع اولي الامر في هذا البلد على ما يعرفه بشان المهاجرة وما يدور حولها من «حركات ومناورات» ومطامع وصغارة نفس وموت ضمير !...

-٣-

اتابع استعراض «المواشي البشرية» كما شاهدتها وسمعتها، وانقل مأساتها للقراء بكل امانة . واني اعرض هذه الصفحات على الرأي العام ، في العالم كله ، ليعرف كيف ان الجشع ، والطمع ، وغلاظة الكبد ، وموت الضمير ، وشهوة المال القذر ، فتكت بالفقراء من هذه الامة البائسة ، واستغلت عرق جبين عمالها وفلاحيها الذين يبيعون ما يملكون ويهاجرون في سبيل الرزق

وسنقص على الحكومة ، ولا سيما على وزير الداخلية اذا شاء ، جميع ما سمعناه وما عرفناه، مما لاتكتبه « الاحرار » عن هذه القضية - كي لاتعرض للتبعات (السياسية) - واننا نطلب منه باسم الانسانية والحق والانصاف ، نطلب منه باسم جمهرة الالوف من البائسين ان تحقق الحكومة اللبنانية في مهزلة المهاجرة ؛ وفضائح السماسرة والشركات ؛ تحقيقاً قضائياً رسمياً تعين فيه التبعات ، وتحدد الجرائم والعقوبات

« عند مفوض المرفأ »

باكرته في مكتبه مرتقباً قدومه

اعرف ان المسيو ديمون قد بذل عناية صادقة ليضع حداً لمهزلة المهاجرين ؛ وليصلح مافات سلفاءه اصلاحه . واظن انه اول مفوض افرنسي اكثر من كتابة التقارير لسن نظام كامل يحمي المهاجرين ؛ وقام مع موظفي دائرته اللبنانيين - بقدر استطاعتهم - بمراقبة السماسرة والسهر على حقوق المغتربين

ولكن النقص كبير ؛ وهو في جوهر الاساس : لقد انشئت دائرة المهاجرة في مفوضية المرفأ الخاصة منذ عشر سنوات ؛ ولم تسن السلطات العليا حتى اليوم قانوناً كاملا ينظم سيرها .

هناك بعض « تعليمات » ولكنها غير كافية ؛ ومن غرائبها ان لايكون فيها بند يوجب على الشركات التي تشحن اللبنانيين والسوريين ألوفاً الى المقاصي النائية ، ان تعين طبيباً خاصاً يفحص المهاجرين ساعة يدسون في البواخر لتقلهم باخرات المحيط الى كل بلد ، وتحت كل سماء !

اشار المسيو ديمون الى جميع هذه النقاط في تقاريره العديدة التي كتبها الى دائرة الامن العام في المفوضية العليا . ولكن

هذه التقارير لم تجد نفعاً كما يظهر . فهل اطلعت عليها السلطات الحديدة الاسماء ؟ هل تفحصها أولو الامر واهتموا لها ؟ هل احيلت للحكومات اللبنانية والسورية لتنظر فيها ؟

ليست بيروت ثغراً للبنان وسورية ، بل هي ممر لبعض الشعوب الشرقية: كالعراق ، والعجم ، والافغان . فلماذا لاتنظم دائرة المهاجرة فيها التأمين هذه الشعوب عواقب السفر من بيروت ؟

صارت المهاجرة جزءاً من حياتنا في لبنان ، وستصير في سورية ايضاً . فهل تسن الحكومة نظاماً ليحمي نسل الخيل ولا تسن نظاماً يحمي حياة المهاجرين وهم من مكلفيها ؟

المواشي البشرية !!

***

ـ لقد عرفت يامسيو ديمون ، وانت مفوض المرفأ الخاص والمهاجرة ، ان ٩١ مهاجراً اعيدوا من مرسيليا على الباخرة الافرنسية « تيوفيل غوتيه » و٥٩ غيرهم اعيدوا على الباخرة « شامبوليون » والحبل على الجرار ، وهم في حالة يرثى لها من جراء المعاملة التي ذاقوا مرائرها

ـ لقد تأثرت لهذه الحالة وانا الان مهتم بكتابة تقرير عنها لارفعه للمراجع الايجابية

ـ كتابة تقرير ؟؟ الا تحققون في هذه القضية تحقيقاً

رسمياً؟ ان المهاجرين يقولون انهم ضربوا بالسياط ، واهينوا، واحتيل عليهم ، واختلست اموالهم ، وحقرت نساؤهم ، واطفالهم ، وبلادهم ؛ فهلا سألتموهم عما يشكون منه ؟

ـ لقد قمت بما يجب علي واطلعت المراجع العليا على مهمتي

ـ وقانون المهاجرة ؟ ومراقبة الشركات ، والسماسرة ، والتبعات ؛ والاطباء ، والشهادات الصحية ، ومعاملة البحارة لاولئك الفقراء البائسين؟

المسيو ديمون يسكت ...

قد استغرب مفوض المرفأ قول المهاجرين ان رجال الشرطة في مرسيليا ضربوهم واوثقوهم بالحبال وجروهم الى الباخرة جر المواشي ... البشرية !

قال المسيو ديمون: يصعب علي ان اصدق هذة الرواية لان البوليس الافرنسي لا يلتجيء الى الضرب الا اذا كان امام مجرمين

ـ وهل رأيت في هؤلاء وجوه المجرمين يا مسيو ديمون ؟

***

رجعت الى ادارة « الاحرار » واطلعت رئيس التحرير على جميع ما عرفته عن هذه القضية فاغرورق الدمع في عيني ابي غسان وقال لي :

ـ اكتب كل شيء ؛ ولكن ... بهدوء عصب !

ولم اكد ادخل الى مكتبي حتى تبعني احد المستخدمين قائلا ان في غرفة الانتظار من يطلبني ، فخرجت واذا بي امام اثنين من ضحايا المواشي البشرية ؛ احدهما وصل في هذا الصباح واسمه محمد اسماعيل المكنى بابي فيصل من معضمية (الشام) والثاني يدعي محمود الغندور من يبرود ، وقد اجتمعت بـه في الليل الماضي اذ كان مع رفاقه في النزل

ـ خير يابو فيصل !

ـ خير ... اي والله ؛ كله خير !

وتبعني الرجلان فنقلت حديث محمد اسماعيل بحروفه قال :

ـ ساعة وصولنا الى مرسيليا ؛ اخذنا الياس السقال الى الكبانية . بس شافنا الرئيس والمدير نطوا وقالوا لنا « السوريين مرفوضين عموم » ـ اي والله ؛ رفضنا بدون فحص ؛ بدون سلام و كلام !

« بيتونا في حوش اللوكندة . في الصباح الثاني حشرونا كل ٢٦ راكب باوضة واحدة ؛ مثل الحمير . ناس فوق ناس بدون غطا . من كترة البرد مرض احمد شاكر من يبرود ؛ وآمنه الطبل (يبرود) نزلنا على بكرة لنشرب الشاي حوطونا ١٢ بوليس واجا المدير « الاحول » ورئيس الكبانية والطبيب وبلشوا يقروا اسامينا . سادس اسم طلعت انا وجاوبت بارينا

— ماذا ؟

فصحح رفيقه الغندور كلمته قائلا : « باريسان » وفهمت انه يعني Présent اي حاضر !

« كنا في الاوتيل ٣٥٠ سوري ولبناني . ما فحصوا منا غير ستة ركاب وقالوا لنا « لازم ترجعوا لبيروت انتو مش صالحين للسفر ... نو بون!! هيك من الباب للطاقة

« اخذنا نتشارع ونتعاج بدون فايدة . قلنا للمدير : « اخذتو مصرياتنا ونحن معلمين على اوراقنا » فرفضوا استماع احتجاجنا . قلت للمدير : كبانيتك اخذت مني عشرين ليرة عثمانية ذهباً لتوصلني الى مونتيفيديو فأرجع لي مالي

« بينما نحن في الحديث وصل ٢٥٠ روسياً فأخرجونا للشارع ليدخلوهم مكاننا وقال المدير لجميع السوريين واللبنانيين انهم سيرجعون الى بيروت . بدون ان يكمل الفحص!!

« لما وصلت الباخرة جاء ٣٠ بوليس و كتفوا اولاد العرب وقادوهم لعنابر البابور بالقوة . فلم اقبل الرجوع قبل استرجاع مالي فقال لي المدير : انا ما بعرفك ، طالب كبانية بيروت . ابرزت له شهادات الدكتور ليزمي والدكتور طربيه في بيروت والدكر نحتواس طبيب دوائر شرطة سورية فقال لي « ... ابوك على ابوهم »

«كان بيننا يهوديان من القدس متممين مثلنا معاملاتهما فقال لهما المدير : «ما يهمني لا انتو ولا حكومة الانكليز ... على ...» فذهب الفلسطينيان الى القنصل الانكليزي في مرسيليا وجاء هذا معهما فاجبر المدير على ارجاع النالون لهما فتابعا سفرهما الى الارجنتين مع الشركة الانكليزية.

«طلب عرفه بن عبد القادر زهرة من بيروت ان يتحكم على حسابه في مرسيليا فقال له رئيس الكبانية : اذا تحكمت ١٩ سنة وصيت؛ سنة العشرين بدي اعيدك لبيروت .

« كتفوني مع محمود الغندور ورجل حمصي واخرجونا بالقوة فلما هممنا بالخروج من باب النزل وصل مامور التلغراف واعطاني حوالة تلغرافية من اخي في الارجنتين باربعين ليرة انكليزية. عجزت ؛ كعيت حتى يسمحوا لي بقبض الحوالة فلم يقبلوا واصروا على جرنا الى البابور . والحوالة رجعت لاخي

«لما وصلنا الى الجرك جاء بوليس واخذيشتم محمود الغندور لانه لم يرجع مع البوسطة الاولية (اي مع القافلة الاولى التي اعيدت على ظهر الباخرة «تيوفيل غوتيه») فاسرع الياس السقال وتوسط بين البوليس ومحمود ولكن البوليس قال له «بدي ... ام السريان»

«نزلنا بالبابور . بالعنبر التحتاني . عنبر الشحن . سابع

طابق. سكروا علينا المي. نشف ريقنا وصرنا نسترحم ونشتري المي لنبل عطشنا

«اشتد علينا النو ساعة وصولنا الى بوغاز ايطاليا، فسكروا علينا الابواب لانهم خافوا ان يطلع اولاد العرب والارمن ويلبسوا الفلين. كان البابور في خطر عظيم ويأس ما له تاني

«هيدي معاملة يا مرحوم الوالدين!»

***

قد ينفر القارىء من استماع هذه المأساة، ولكن الذين سافروا الى اوروبا يعرفون اشياء كثيرة عما يلاقيه المهاجرون في البواخر

يجب ان يوضع حد لهذه المعاملة الوحشيـة. فهل تحقق حكومة الشام في قصة ابي فيصل؛ محمد اسماعيل معضميه، لتعرف حقيقة هذه المأساة الفظيعة؟

وهل تحقق دائرة الامن العام في المفوضية العليا لتعرف الحقيقة عن سجن المهاجرين في اعماق العنابر ساعة خطر الغريق كي لايلبسوا الفلين للنجاة كما يقول محمد اسماعيل؟

أيضنون على الناس بأن ينقذوا انفسهم من الموت، ويابون عليهم الا ان تبتلعهم الانواء في اعماق العنابر؟

وهل تفعل البواخر بحيواناتها في مثل هـذا الموقف

الرهيب ، مافعلوه بالمواشي البشرية ؟

سأختم هذا (الاستعراض) بما رواه لي حرفياً محمود الغندور في ادارة « الاحرار » قال:

- كنا بنص البحر وسكروا علينا المي . نحمت الاولاد والنسوان . العطش فضاح اكثر من الجوع . طلعت للدرجة التانية ومعي ابريق حتى مليه . شافني بحري كان عمال يعجن ، خطف الابريق مني وشبقني فيه على ضهري .

« قلت له : حرام . الاولاد والنسوان بدها تشرب . اشار الى ...... وقال : « خليهم يجوا يشربوا !.. »

« رحت لعند العشي وشحدت منه مي . ملالي الابريق مي مالحه ! .. »

***

ماء مالح ! ولكنه ليس مالحاً كحياة بلادي ؛ منذ عرفت بلادي الحياة!

يسقون المهاجرين ماء مالحاً فلماذا اخذوا من كل منهم عشرين ليرة عثمانية ؟

بماذا تجيبين يا شركة البواخر ، وبأي وجه تستقبلني يا « حضرة » المدير ؟

« في المكتب المشترك »

وأسموه بالمشترك لان شركة المساجري ماريتيم وشركة فابرلين الفرنسويتين في بيروت انشأتاه معاً لتضعا حداً للتزاحم الذي كان واقعاً بينهما على نقل المهاجرين على بواخرهما

كان ناولون المهاجر من بيروت الى مرسليا اربعين ليرة سورية في الدرجة الرابعة فخفضته احدى الشركتين الى خمس وثلاثين ليرة ، فما كانت من الثانية الا انها خفضته للثلاثين . فاجابت الاولى على هذا الخفض بان انزلت الناولون الى ثماني وعشرين . فكالت لها زميلتها بالكيل نفسه وخفضت الناولون الى خمس وعشرين .

واستمرت هذه « المداعبة » بين وكلاء الشركتين حتى بلغ الناولون من بيروت الى مرسليا في الدرجة الرابعة ثماني عشرة ليرة سورية ، ولم يكن هذا « الهبوط » الذي يظهر لاول مظهر انه من مصلحة المهاجرين الفقراء من سوريين ولبنانين وارمن ، لم يكن هذا « الهبوط » لينفع المهاجرين ، لان عمال الشركتين في البواخر والمرافئ والفنادق كانوا (يطيلعونها من عيون المهاجرين عامص) . وكان من المعقول ان يسبب خفض الاجور اقبالا على ركوب بواخر احدى الشركتين

المتزاحمتين ، فازداد عدد المسافرين عليها .

ولما رأى عمال هاتين الشركتين ان ارباحهم من سمسرة وعمولة ومكافاة ، قدهبطت هبوطاً عظيماً بنسبة هبوط الناولون ، عمدوا الى الاستعاضة عنها

فتساءلوا عمن كان السبب في انقاص ارباحهم ، فدلتهم قرائن الحال على ان المهاجرين انفسهم هم الذين (قاسموهم) تلك الارباح . واذن فلا بد من (تدبير) هؤلاء !

واذن ، فليعاملوا معاملة الابقار والاغنام !

كانت الشركات تطعم المهاجرين على حسابها في مرسيليا ، على حسابها في الظاهر ، ولكن الحقيقة هي انها كانت تضيف ثمن الاكل الى ثمن الناولون ، ولا يفهم المهاجر ان هذا الكرم الحاتمي وهذه الضيافة العربية ان هما الا من جيبه . وكانت الشركات تعاهد المهاجر على الانفاق عليه طيلة اقامته في مرسيليا ينتظر وصول الباخرة — لا يعرف بشيء من نقليات واكل وشرب ونوم — فلما هبطت اجور النقل بسبب المزاحمة ، وقلت الارباح ، اخذ عمال الشركات (يشيلون الفرق) بان صاروا يطعمون المهاجر اسبوعاً واحداً ، وكانوا يطعمون بعضهم اربعة ايام فقط ، فان تاخرت الباخرة عن الوصول ، فعلى المهاجر ان يدفع ثمن الطعام واجر المنزل .

استعملت كلمة (طعام) (ونزل) بقوة الاستمرار ولكن الطعام كان « علفاً » وكان النزل « حظيرة » ولم تكن حالة المهاجرين من الامم القوية والشعوب المستقلة مثل حالة المهاجرين من بلادنا . فقد تفردنا وحدنا بان يعامل مهاجرونا معاملة المواشي البشرية

ليحي الاستقلال ! ...

ولم يطل عهد الشركتين بهذه المزاحمة، لان المركز الرئيسي في باريس شعر بخطرها على ارباحه . بل انه لاحظ ان (الخسارة) جسيمة ، فقد كان يتناول من كل مهاجر اربعين ليرة ، وكان انفاقه عليه ضئيلا جداً بالنسبة الى الربح الباهظ الذي يربحه ولما خفض الناولون ازداد عدد المهاجرين فازدادت (الخسارة في الارباح)

وورد نبأ عن سبأ، ونقل البرق امراً من العاصمة الافرنسية الى شركتي مساجري ماريتيم وفابرلين بوضع حد للمزاحمة بينهما ، وجاءهما رجل عظيم الشان فخلق فكرة « المكتب المشترك » بين الشركتين لنقل المواشي البشرية

يجب ان اذكر بهذه المناسبة ان اكثر الشركات الرأسمالية في العالم تختلف اسما ولكنها مشتركة مالا ، فان حملة اسهمها هم انفسهم حملة اسهم الشركات الاخرى

مثلا : ان لشركة المساجري مارتيم عدداً كبيراً من اسهم شركة فابرلين ، ناهيك بان لحملة اسهم المساجيري ايضاً اسهماً شخصية لهم من شركة فابرلين

وهذا حال فابر من زميلتها المساجيري

واذا شاء القارىء ان يتوسع في معرفة اسرار هذة الحقيقة فليرجع الى الكاتب الافرنسي اندري لورولو مؤلف « دول المال في الشرق » فانه يطلع على هذه الشؤون كلها ويعرف ايضاً ان شركة مرفأ بيروت هي نفسها شركة « سكة حديد شام = حماه — وتمديداتها » وهي نفسها شركة القطار اللبناني ، وهي نفسها حاملة اكثر اسهم الريجي والديون العمومية ؛ وشركات الترامواي ، والغاز ، والماء ، والمصرف السوري الافرنسي وسائر المصارف الاجنبية ، الخ...

فليفهم السوريون واللبنانيون جميعاً هذه الحقائق ، وليفهم المتمولون منهم كيف تنهار اسس استقلال البلاد المستضعفة وكيف تسخر السياسة لخدمة الرأسمال ! ...

***

وصلت الى المكتب المشترك وطلبت مقابلة مديره ، فقال لي احد المستخدمين ان المدير غائب ولكن شقيقه ينوب عنه .

لم تراع حقوق اواصر الرحم والاخوة في المجلس النيابي

اللبناني فحسب ؛ فان هذه الغريزة تعدت المجلس الى الشركات

عرف وكيل المدير بهمتي فلم ترق له !

الجرائد -- وخصوصاً « الاحرار » ! — تفضح الطمع والجشع والابتزاز

الرأي العام يهتم ، بواسطة الصحافة ، بالمواشي البشرية

اذن ، سيدنو يوم الحساب !

سألت وكيل مدير « المكتب المشترك » عن سبب ارجاع المهاجرين فقال حرفياً :

- لان احدى بواخر « الترانسبور ماريتيم » كانت قد اقلت مايتي مهاجر الى الارجنتين فلما وصل هؤلاء الى بونس ايرس اعادتهم الحكومة منها لان الفحص الطبي اثبت ان في عيونهم حرارة .

« ولهذا اصرت الشركة نفسها ان لاتقل المهاجرين الاخرين الذين سافروا في الاونة الاخيرة لان في عيونهم حرارة فاعادتهم الى بيروت . »

استغربت هذا الجواب من وكيل المدير وقلت له ان المهاجرين الذين ارجعوا يحملون شهادات طبية بحسن صحتهم وبسلامة عيونهم من الامراض ، ولم يكتفوا بهذه الشهادات بل انهم فحصوا عيونهم على اثر رفضهم ، لدى طبيب افرنسي

يدعى الدكتور مريتان فاعطاهم شهادة بان عيونهم سليمة من الحرارة ، ولكن هذه الشهادة لم تحترمها الشركة وكذلك لم تحترم شهادة اطباء الشركات الالمانية والانكليزية

فاجاب وكيل المدير : نعم كان بين المهاجرين اصحاء ، وكانت الشركة تنتظر الباخرة لنقلهم الى اميركا ولكن الركاب عملوا هيجان في اللوكندة وصاروا يكسروا فيها ، التزم البوليس يسفرهم (كذا !!)

افهمت المدير ان هذا الجواب لايلقى على صحفي ... ثم قلت له انه لايعقل ان من كان صحيح العينين وقد قبلت الشركة تسفيره ، يثور . فاجابني الرجل :

— بما ان اميركا الجنوبية سبق لها ان رفضت قبول مهاجرين اصحاء ، التزم البوليس في مرسيليا ان يرجع الركاب بناء على طلب الكبانية

المواشي البشرية !

***

وكان محدثي يضطرب من الاسئلة التي القيتها عليه ، وقلت له ان المهاجرين يطلبون الاموال التي دفعوها للشركة فقال حرفياً :

— نعم ، سنسعى لاعادة ما دفعوه ، بعد ان نخصم ١٥ ليرة

ثمن الاكل في البواخر وفي النزل . واريد ان يفهم الركاب ان المساجيري غير مسؤولة عن مثل هذه الحالة ، ولكنها عطفاً وشفقة عليهم (كذا...) ستسعى لارجاع المال بعد حسم ثمن الاكل روحة ورجعة

س - ولكن كيف تقبلون المهاجرين اذا كانوا مرضى ؟ اليس لديكم طبيب يفحصهم قبل السفر ؟

فاجابني حرفيا :

- نعم عندنا طبيب خصوصي للمهاجـرة هو الدكتور الجميل ، ولكننا لانقدر ان نرفض شهادات الاطباء المعينين من قبل القناصل .

س - قال المهاجرون انهم اخذوا منهم في مرسيليا ثمن الاكل افليست الشركة هي التي تطعمهم (على حسابها) ؟

ج - نعم . نحن نطعم المهاجر في مرسيليا كل المدة التي يقضيها فيها . وهو ينزل في اوتيل بسول الذي يخص الترانسبور . اما مايقوله المهاجرون عن دفعهم ثمن الاكل فيصعب علي تصديقه واذا كان الاوتيل اخذ حقيقة منهم اجرة فهذا عمل غير قانوني ؟ .

س - لقد طلب المهاجرون ان يسافروا من مرسيليا على غير بواخر شركتكم وقد قبلتهم الشركات الانكليزية والالمانية وقبلتهم شركـة « الهامبورغ » فلماذا لم يعطهم مدير النزل

جوازات سفرهم ؟

ج ـ هناك في مرسيليا رجل مستخدم في الشركة الالمانية وهو دساس Intrigant عمل كل هذه الاعمال . ولكن شركته لاتقدر ان تأخذ الركاب . وقد رفض مدير الاوتيل ارجاع الباسبور للمهاجرين حتي لايهربوا في مرسيليا !

***

نقلت جواب مدير المكتب المشترك بحروفه ، وقد أطلت الحديث عن المواشي البشرية ، وساختم هذه السلسلة ، التي رويت للقراء انباءها المخزية المؤلمة ، بخلاصة ماتبين لي من التحقيق في هذه الفضائح التي تثور لها نفس « الانسان » وساضع الخلاصة تحت انظار اولي الامر ، لعلهم يتخذون التدابير اللازمة لتحديد التبعات .

وعسي ان يعتبر المواطنون الذين يقذفون بانفسهم الى الهجرة بما قصصنا عليهم من انباء سوء المعاملة ، فيظلوا في وطنهم يعملون ...

لقد برزت لنا الحقيقة ثابتة في هذه الصفحات بأن المغتربين الذين يرجعون من الطريق إنما هم الذين يسافرون على البواخر الافرنسية ، بعد ان يذوقوا فيها أمر الاهانات ، في حين ان اخوانهم الذين يركبون البواخر الايطالية يملاون الصحف بالشكر والثناء

على حسن المعاملة التي يلقونها من عمال الشركة . الايطالية وثبت ايضاً أن الراجعين من الطريق انما هم الذين يسافرون الى انحاء اميركا الجنوبية . فهل نفهم السبب ؟

لقد سألنا مدير « السيتمار » الايطالية عن عدد الركاب الذين سافروا على بواخر شركته ورفضوا في جنوا ، فأخذ المدير يقلب سجلاته ثم قال باطمئنان وشيء من الفخار :

— ١١ في كل سنة ١٩٢٨

احد عشر راكباً يرجعون من جنوا في مدة اثني عشر شهراً وفي كل اسبوع يرجع المئات من مرسيليا ؟

فهم المسيو دي كارلو دهشتنا فقال :

— ان أقل ارتياب ، يبديه طبيب الباخرة في صحة عيني المهاجر ، يحملني على رفضه وان كان يحمل منه شهادة طبية »

شعرت ساعتئذ اني اتحدث الى رجل ذي ضمير حي ، فبثثته شكواي ، وطال حديثنا عن المواشي البشرية فحاول المسيو دي كارلو أن لا يعرض للشركات الاخرى بكلمة سوء . وقد استنتجت من كلامه انه لو لم يكن عمال الشركة الايطالية مدفوعين من انفسهم ليحسنوا معاملة المغتربين ، لاضطروا الى ذلك بموجب قانون المهاجرة = الايطالي طبعاً .. = فقد نص البند السابع عشر من قانون ١٩١٩ « على اعتبار المهاجر الاجنبي من

الرعية الايطالية طالما هو مقيم في أرض ايطالية »

ولا ريب بأن مثل هذا القانون يرغم شركات البواخر على حسن معاملة المغتربين بقطع النظر عن جنسيتهم ، ناهيك بأن لدائرة المهاجرة في ايطاليا مفتشين من رجال الشرطة يشرفون على راحة المهاجرين في الفنادق ويفحصون الطعام وغرف النوم الخ

وأما في مرسيليا ، وفي « البواخر الافرنسية » فالمهاجرون يعاملون معاملة المواشي !!

***

بقي أن نعرف الاسباب التي خصت المغتربين الى أميركا الجنوبية « بنعمة الرفض » في حين ان المسافرين الى اميركا الشمالية لا يرفضون

السبب واضح وجلي : وهو ان بين حكومات الجنوب دولا تخاف من مزاحمة العرب لابنائها في التجارة ، وهي تريد أن تقضي على تلك المزاحمة بأن تمنع العرب من المهاجرة الى أراضيها ، ولكنها لم تعلن ذلك بصراحة ، بل عمدت الى المكر السياسي فأخذت تضع العراقيل في طريق المهاجرين ، وتلقي عليهم الرسوم الباهظة والشروط القاسية ليضيقوا بها ذرعاً فيولوا وجوههم شطر بلاد ثانية . وقد لاحظنا ان القنصل الوحيد الذي صرح علناً في بيروت بأن بلاده مفتوحة للمهاجرين هو قنصل

الاورغواي

وأود أن أشير بهذه المناسبة الى الخصام العنيف ، والسري معاً ، الذي نتلمس اثره في دور القناصل في بيروت ، فان أحدهم مثلاً يرفض التأشير على جواز سفر المهاجر ويطلب من زملائه أن يحذوا حذوه ، ويتفق أن قنصلاً لا «يجامل» زميله في الرفض فيؤشر على الجواز ، ولكن المهاجر المسكين هو الذي يحمل تبعة ذلك الخصام ، بأن يصل الى نصف الطريق وتكرهه شركات البواخر على الرجوع !

ان في ذكر هذا « الخصام القنصلي » ابهاماً ولكن القارئ يستنتج من الحادثة « غير المبهمة » التي أرويها الان ما يزيل كل ابهام : فقد رفضت شركة « الترانسبور ماريتيم » في حزيران ٩٢٨ بعض المهاجرين في مرسيليا فرجعوا الى بيروت ، ثم سافروا ثانية على بواخر « المساجري ماريتيم » ولكنهم قطعوا اوراق سفرهم من غير شركة «ترانسبور» فتابعوا سفرهم الى الاورغواي وقبلتهم دائرة المهاجرة في مونتيفيديو !!!

ومن حوادث « الخصام القنصلي » أن أحد ممثلي حكومات اميركا في بيروت كان يمحو عن جواز سفر المهاجرين إسم البلاد التي كان يمثلها ذلك القنصل لانه رفض السماح لحامل الجواز بالسفر اليها ، واتفق ان مرجعاً عالياً في بيروت اطلع

على تصرف القنصل فكتب اليه لافتاً نظره الى ان عمله هو غير قانوني « اذ لايجوز لاي قنصل ان يتصرف باوراق رسمية أعطتها حكومة غير حكومته »

ولهذه الحوادث أخوات غريبة !

النتيجة :

وبعد ، فنحن نبسط الان رأيين في حل « مشكلة » المهاجرة ننقلهما عن المسيو دي كارلو مدير شركة السيتمار ، وعن قنصل الاورغواي :

قال المسيو دي كارلو ان خير وسيلة للقضاء على الخوف من التراخوما التي يحملها المهاجرون ، هي ان توفد حكومات اميركا الجنوبية ، ولا سيما البرازيل والارجنتين والاورغواي ، طبيباً اختصاصياً يلتحق كل منهم بقنصليته في بيروت ، فيفحص المهاجر ويؤشر على جواز سفره ، ويكون تأشير الطبيب ضماناً للمهاجر . وتقوم شركات البواخر بنفقات هؤلاء الاطباء بأن تؤدي بدلا معيناً عن كل تأشير ، لقاء الضمان للمهاجر بدخول البلاد التي يمثلها الطبيب المؤشر

وقد تمشت حكومة الولايات المتحدة على مثل هذه الطريقة تقريباً

وقال قنصل الاورغواي ان هذه الفكرة سديدة في حالة وجود بواخر تنقل المهاجرين من بيروت الى اميركا رأساً ، اما اذا كان السفر تدريجيا فهو يقترح ان تؤلف لجنة صحية من طبيب عسكري (افرنسي) وطبيب من البلدية وطبيب من المحاجر الصحية وطبيب من القنصلية وطبيب من الشركة التي يسافر المهاجر على احدى بواخرها»

ولكن هذين الرأيين لا يصلحان الخلل مالم تنشيء الحكومة في بيروت دائرة للمهاجرة « مشتركة » - اي تمثل جميع البلاد السورية - وتسن نظاماً تخضع له الشركات وينص على ضمانة حقوق المهاجرين

لقد اهتمت الحكومات هنا بأمور كثيرة ، لا نعدها ولا نصفها ، ولكننا نجهل السبب الذي اقعدها عن الاهتمام بانشاء دائرة المهاجرة ، فسمح لشركات البواخر الافرنسية بالعبث بابناء هذه البلاد

ان في اقتراح السنيور دي كارلو وقنصل الاورغواي ، ضماناً يقضي على تلاعب الاطباء الذين يخونون ضميرهم ويزودون المهاجرين شهادة بحسن الصحة لقاء بعض ليرات ، ولكن هذا الضمان لا يحدد « حقوق » الشركات وواجباتها ، ولا يراقب الذمم المطاطة التي يتسلح بها السماسرة في بيروت وفي

المرافيء الاوروبية ، ولا يشرف على المحلات التي يقيم فيها المهاجرون في السفر ، ولا يلبس الفلاح العربي « درع الكرامة القومية» الذي يحترمه الشرطي الافرنسي في الناس المنتسبين

الا يرى القائمون بالامر في هذه البلاد ان الاغضاء عن حقوق المهاجرين يولد في نفوس هؤلاء المساكين بغضاً لحكومتهم وكرهاً لوطنهم . وانهم ساعة يصلون الى ديار غربتهم يحمدون سجداً لانهم « خلصوا » من وجوه لم تبتسم لهم الا كابتسامة كاترين دي مدسيس ؟

اننا نذكر ان رئيس الجمهورية اللبنانية اذاع يوم تشكلت « اول حكومة وطنية دستورية » نداء على المهاجرين يدعوهم فيه للمحافظة على جنسيتهم اللبنانية ، فكيف تريد الحكومة « الوطنية الدستورية » ان يلبي المهاجرون نداءها وهم يرون ان اللبنانيين المحافظين على جنسيتهم ، والحاملين بيدهم شعار هذه الجنسية ، يهانون ويعذبون ويسرقون تحت انف الحكومة الوطنية الدستورية

واننا نذكر ان بين المهاجرين كراماً كانو اول العاطفين على وطنهم الاول فأمدوه بالفرج في كربته ، فهل تظن الحكومة ان هذا العطف يستمر في صدور الذين اضافتهم انسانية

« الشامبوليون » ؟

تنفق السلطات في هذه البلاد ملايين الدنانير على «المشاريع» التي تهم رجالها ، وقد ارهقت المكلف بالضرائب ، فلماذا لاتسن قانوناً للمهاجرة وتنشيء دائرة من بضعة موظفين للسهر على تنفيذه ، وليس في هذا العمل كبير عناء ؟

***

كان بودي أن القي تبعة هذه المهزلة المؤلمة على شركات البواخر وحدها ، ولكني [illegible] أن التبعة العظمى تقع على عاتق السلطات في هذه البلاد ، واصرح أيضاً بأن القسم الاكبر من هذه التبعة العظمى يثقل ضمير (!) من جاءت بهم الاقدار الى مجلس الممثلين فكانوا نوائب البلاد لانوابها .

لقد اندفع معنا كرام الزملاء الى فضح مطامع الشركات وجرائم السماسرة ، وكان لبعض الصحفات كالمعرض والرفايل والبلاغ والاحوال وسواها صرخات حرة شريفة في وجوب التحقيق في ما كتبناه ، وقد استصرخنا الذين نعرفهم من الممثلين ليظاهرونا في حملتنا ، فوعدوا ولم يصدقوا ....

وكتبت الى السيد يوسف اسطفان ، المعين في المجلس ليمثل لبنان الشمالي ، ان يهتم لهذه القضية ، وعرضت عليه أن اطلعه على ما تحققته بنفسي في مهزلة المهاجرة ، فلم يزعج الرجل

نفسه ،ولم يبال باوجاع المواشي البشرية كأن هؤلاء البائسين ليسوا من طينته !

أتأسف أن أذكر هذه الحقيقة ، ولكني اقر ان كتابي اليه انما كان « تجربة » لاني اعرف « الخدمات » التي يخدمها أشباه السيد يوسف اسطفان . وقد راجعته بأمر المهاجرين لانهم الذين اكرموه في أميركا ما هي حقيقة اهتمام ممثل الشمال صالح الفقراء وما هو مبلغ اندفاعه في خدمة بني وطنه ؟

لا اعني « التخصيص » في تسميتي احـد الممثلين ، فانا واثق من ان جميع اعضاء المجلس ـ الا ثلاثة كراما ـ لايصلحون ليخدموا الشعب ويدافعوا عن حقوقه ، ولكني ذكرت اسم السيد يوسف اسطفان لان الصحف صورته مثالا حياً للدفاع عن حقوق المهاجرين.وقد اظهرت الايام ان الرجل لم يخدم احداً حتى المقدمين على المهاجرة . وقد حـذا زملاؤه حذوه ، بل ان بعض هؤلاء وعدوا بالاهتمام لهذه المأساة وما صدقوا !!..

ولكن هؤلاء الممثلين ، واكثرهم مخرج من « المدرسة التركية » ولهم قسطهم الوفـير من الاثراء والترعب ، لا تهمهم مصالح الشعب الفقير . فعلى البلاد التي انبتت الرجال فصاروا « مواشي » في عهد هؤلاء الممثلين ، والتي صار ابناؤهـا

عبيداً يسامون الذل ، فلا يرفع الممثلون صوتهم احتجاجاً على « نخاسة المهاجرة » - على البلاد ان تعرف موقفها في الانتخابات الاتية ، وان تفهم ان « النائب » الذي سكت عن استعباد المهاجرين انما هو عبد لايستحق شرف النيابة

بقي علي ان اختم هذه الصفحات برجاء الى الاخوان المقيمين في اميركا الجنوبية ؛ ولا سيما الى رجال الاحزاب الحرة فيها ، بأن يراجعوا حكوماتها في قضية المهاجرة ، ولبعض هولاء الاخوان منزلة وكرامة لديها . واظن ان باستطاعة منشيء « الاصلاح » الاغر ان يوءيد اقتراح مدير « السيتمار » وقنصل الاورغواي في دوائر العاصمة الارجنتينية . وباستطاعة كرام الجاليات العربية ان يسعوا لدى الحكومات لتعلن رايها الصريح في مهاجرة السوريين واللبنانيين الى اراضيها .

لقد طالت مأساة المواشي البشرية ، وليس من الشرف والعدل ، والانصاف ، والمدنية ، ان تستمر المطامع في شهواتها القذرة ، وان يضطهد هذا الشعب الفقير لان ليس لديه حراب ومدافع

يا عصبة الامم ، ويادول الارض ، وايها الراي العام ، اننا في القرن العشرين ! ....

بيروت اذار ١٩٢٩

